شرح العقيدة الواسطية

الدرس السادس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أمّا بعد:

فقد وقفنا عند قول المؤلف رحمه الله تعالى: **(وقوله: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ})**

أراد المؤلف رحمه الله من ذكر هذه الآية في هذا الموطن: إثبات صفة الرحمة لله تبارك وتعالى، وفي هذه الآية ثلاثة أسماء لله تبارك وتعالى تتضمن صفات.

الاسم الأول: الله، والثاني: الرحمان، والثالث: الرحيم.

هنا ثلاث صفات تضمنتها هذه الأسماء الثلاثة:

فالله اسم يتضمن صفة الألوهية؛ وهي العبادة، فهو بمعنى المعبود.

والرحمن اسم يتضمن صفة الرحمة، كذلك الرحيم اسم يتضمن صفة الرحمة، ولكن الرحمة التي في الأولى ليست هي الرحمة التي في الثانية؛ الرحمة التي في الاسم الأول رحمة واسعة، رحمة للمؤمنين وللكافرين وللإنسان وللحيوان ولكلّ شيء، أمّا الرحمة الثانية التي في الرحيم؛ فهي رحمة خاصة بالمؤمنين، {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} هذا الفرق بين اسم الرحمن والرحيم.

فهذه الأسماء كلّها تدلّ على ذات الله تبارك وتعالى وعلى هذه الصفات المذكورة.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **({رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا})**

الشاهد: {وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً} تدلّ على أنّ كلّ شيء وصلته رحمة الله تبارك وتعالى، ووصله أيضاً علم الله تبارك وتعالى.

قال: **({وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}، {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}،{كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}، {وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}، {فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ})**

كلّها آيات تدلّ على إثبات صفة الرحمة لله تبارك وتعالى، وأهل السنة متفقون على أنّ

الله تبارك وتعالى يوصف بالرحمة؛ فهو رحمن وهو رحيم تبارك وتعالى، وأما المتكلمون فينفون عنه هذه الصفة، ويحرفون هذه الآيات التي وردت ويفسرونها باللوازم والنتائج؛ يقولون الرحمة: نفس الإحسان، والأشاعرة يقولون: إرادة الإحسان، لأنّهم يثبتون صفة الإرادة، وغيرهم يقول: الإحسان، لأنّه لا يثبت صفة الإرادة، وحجتهم في ذلك مع أنّهم يقرون أنّ الرحمة في اللغة ليست بمعنى الإحسان، فالإحسان شيء والإنعام شيء، إرادة الإحسان شيء، والرحمة شيء آخر، هم يقرون بهذا من الناحية اللغوية، لكنهم يقولون: لابد أن نصرف هذه الآية عن ظاهرها، لماذا؟ لأنّ العقل دلّ على أنّ هذه الصفة إن أثبتناها لله فقد شبهناه بخلقه، وتشبيهه بخلقه غير جائز؛ فلذلك يُحرّفون الآيات عن مراد الله تبارك وتعالى؛ هذه حجتهم في هذا الأمر.

ونحن نقول لهم: هذا اللازم الذي جعلتموه لازماً؛ ليس بلازم، فكما تقولون بأنّ لله ذاتاً لا تُماثل ذوات المخلوقين، وتثبتون له ذاتاً وتثبتون للمخلوقين ذاتاً؛ قولوا كذلك في بقية الصفات كاملة، أيضاً أنّ له رحمة تليق بجلاله وعظمته تخالف رحمة المخلوقين، فتتخلصون من هذا اللازم الذي تدعونه؛ فاللازم هذا ليس بلازم.

قال المؤلف رحمه الله: **(وقوله: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ})**

ذكرنا التفريق بين الصفات الخبرية والصفات الفعلية؛ وهذه الصفة- صفة الرضى- من الصفات الفعلية، فيفعلها الله تبارك وتعالى متى شاء، كما أنّ المحبة من الصفات الفعلية، وصفة الرحمة كذلك من الصفات الفعلية؛ هذه كلّها من الصفات الفعلية التي قلنا أن ضابطها أنّها تتعلق بمشيئة الله؛ يفعلها الله تبارك وتعالى متى شاء؛ فهي متعلقة بمشيئته، وذكرنا الصفات الذاتية أيضاً، وقلنا أن الصفات تنقسم إلى صفات ذاتية وصفات فعلية، وأنّ الصفات الفعلية هي التي تتعلق بمشيئة الله تبارك وتعالى، والصفات الذاتية هي التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها؛ هذه الصفات الذاتية.

الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته يفعلها متى شاء.

الصفات الذاتية التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها؛ وتنقسم إلى قسمين:

صفات ذاتية معنوية.

صفات ذاتية خبرية.

المعنوية :مثل الحياة والعلم والقدرة.

الخبرية :مثل اليدين والوجه والعينين وما شابه.

فهذه الصفة التي بين أيدينا وهي صفة الرضى ثابتة لله تبارك وتعالى، من عقيدة أهل السنة أنّ يصفوا الله تبارك وتعالى بالرضى وأنّه يرضى؛ هذه من عقيدة أهل السنة والجماعة، لماذا؟ لأنّها قد ثبتت بالكتاب والسنة، فذكر المؤلف رحمه الله لنا آيات تدلّ على ذلك، وسيأتي ما يدلّ على ذلك من السنة، فسيذكر لنا من السنن ما يثبت مجموعة من الصفات.

قوله: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} هذا إثبات لصفة الرضى لله تبارك وتعالى، فالله يرضى رضىً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته لا يُماثل رضى المخلوقين، هذه الصفة الفعلية يفعلها الله تبارك وتعالى متى شاء، وأهل الباطل يحرفونها كما يُحرفون بقية الصفات؛ فيقولون في الرضى: إرادة الثواب أو الثواب نفسه، وكما تقدم أيضاً في الصفة التي قبلها: هم يقرون بأنّ الرضى في لغة العرب ليس بمعنى الثواب؛ فما الذي دفعكم إلى تفسيره بأنّه الثواب أو إرادة الثواب؟

قالوا: العقل يمنع أن نصف الله تبارك وتعالى بهذه الصفة لأنّه يلزم منها التشبيه.

لكن هذا اللازم ليس بلازم، كما قدمنا القول في ذلك.

قال:**(وقوله: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ})**

هذا إثبات لصفة الغضب، قال:{وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ} إذن: الله سبحانه وتعالى يغضب

غضباً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته، وأيضاً نقول في هذه الصفة كبقية الصفات تماماً: لا يلزم من ذلك التشبيه، وهذا الغضب يليق بجلال الله وعظمته تبارك وتعالى على ظاهر كتاب الله، ولو لم تكن هذه الصفات مرادة لله تبارك وتعالى؛ لما سكت عنها هكذا، أي: لما ذكرها وسكت عنها ولبيَّن لنا أنّ ظاهرها غير مراد، ولمّا لم يُبين لنا ووصف كتابه بأنّه كتاب عربي مبين؛ فما بقي لهم حجة في صرف هذه النصوص عن ظاهرها.

هذه الآية {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ} انظر أنواع العذاب والعقاب الذي سينزل بالإنسان إذا قتل أخاه المؤمن؛ فهذا يدلّ على خطورة سفك دمّ المؤمن، وهذه الآية من الآيات التي أشكلت عند بعض أهل العلم؛ لأنّ قاتل النفس المؤمنة ليس كافراً، ولا يُخلّد في نار جهنم إلّا الكافر؛ فكيف تُفسَر هذه الآية؟

أصحّ ما قيل في تفسيرها: أن الخلود في كلام العرب بمعنى المكث الطويل، فإنه لم يقل: خالداً فيها أبداً، لو أبَدَ؛ لقلنا بأنّه لا يخرج، لكن لمّا قال {خَالِدًا فِيهَا} ومن غير تأبيد؛ دلّ على أنّه يمكث في نار جهنم زمناً طويلاً؛ هذا أحسن ما قيل في تفسير هذه الآية.

والشاهد منها: إثبات صفة الغضب لله تبارك وتعالى.

قال: **(وقوله: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ})**

الشاهد قوله: {مَا أَسْخَطَ اللَّهَ} يعني: الذي أسخط الله تبارك وتعالى، وهذا فيه إثبات السَّخط لله تبارك وتعالى، والسَّخط قريبُ المعنى من الغضب، يُقال: السَّخط- بفتح السين المشددة وفتح الخاء-، ويُقال السُّخْط- بضم السين المشددة وتسكين الخاء-، كلاهما لغة عربية صحيحة.

قال: (وقوله: {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ})

فلمّا أغضبونا انتقمنا منهم، فـ: (آسفونا) في لغة العرب بمعنى: أغضبونا، ففيه إثبات صفة الغضب أيضاً لله تبارك وتعالى، والمتكلمون يُحرّفون هذه الصفة ويقولون: معناها الانتقام أو إرادة الانتقام، وردّ عليهم أهل السنة- إضافة إلى الردود المتقدمة-: أنّ هذا لا يصح في مثل هذا الموطن، لأنّه قال: {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ} ففرّق ما بين الغضب والانتقام؛ فلا يصح أن تقول: فلما انتقمنا منهم انتقمنا منهم، هذا الكلام غير مستقيم، ولا يخرج من عربي فصيح؛ فما بالك برب العزة تبارك وتعالى.

قال: (وقوله: {وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ})

الشاهد: إثبات صفة الكراهية لله تبارك وتعالى، وأنّ الله تبارك وتعالى يكره، فلمّا كره الله تبارك وتعالى انبعاثهم- أي: خروجهم للقتال- ثبطهم عنه وأرخى هممهم فلم يخرجوا، كما جاء في الحديث: "إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ"؛ فالكراهة ثابتة بالكتاب والسنة، الله سبحانه وتعالى يكره كراهة حقيقية تليق بجلاله وعظمته.

قال: (وقوله: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ})

المقت: أشدّ البغض، أي: يبغضه الله سبحانه وتعالى بغضاً شديداً؛ ففيه إثبات صفة المقت لله تبارك وتعالى.

قال: (وقوله: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ})

هذه كلّها صفات فعلية، وهذا فيه إثبات صفة الإتيان لله تبارك وتعالى؛ فالله يأتي حقيقة، إتياناً يليق بجلاله وعظمته، أهل التحريف قالوا: هذا إن أثبتناه لزم من ذلك أيضاً التشبيه، ونقول: لا يلزم من ذلك التشبيه، وقولوا في هذا كما تقولون في غيره،

الذين يثبتون بعض الصفات-كالأشاعرة مثلاً- يُثبتون سبع صفات منها: السمع والبصر والكلام والإرادة والقدرة، هؤلاء نقول لهم: لماذا أثبتم البعض ونفيتم البعض الآخر؟ ما قلتموه في السبع هذه قولوه في الباقي، فلمّا أثبتم له سمعاً وبصراً يليق بجلاله وعظمته وأثبتم للمخلوق سمعاً وبصراً يليق به؛ كذلك افعلوا في بقية الصفات من الحبّ والبغض والرّضى والكراهية وأيضاً الاتيان، افعلوا في هذا كما فعلتم في ذاك؛ لذلك قال أهل العلم: أشدّ الناس تناقضاً من النُّفاة هم الأشاعرة، مع أنّهم أقرب الناس إلى السنة من هذه الناحية، كونهم يثبتون بعض الصفات، لكن هم أشدّ الناس تناقضاً؛ لأنّهم أصّلوا أصول المتكلمين ولم يَبقوا عليها، خالفوها بإثبات بعض الصفات.

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ} الآن المحرفة ماذا قالوا؟ قالوا: هل ينظرون إلا أن يأتيهم أمر الله، ولكن أمر الله تبارك وتعالى ينزل ويأتي في أوقات كثيرة وليس في هذا دون غيره، ثم إذا جاز لكم هذا هنا ففي موطن التفصيل والتقسيم لا يجوز؛ كما في الآية التي بعدها.

قال: **(وقوله: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ})**

ماذا تفعلون في هذه؟ فإتيان الآيات شيء، وإتيان الملائكة شيء، وإتيان الله تبارك وتعالى شيء آخر، فقد قسّم الله تبارك وتعالى وفصّل في هذا، وفارق بين أن تأتي آياته أو أن يأتي هو؛ فلا يصحّ إذاً التفسير الذي ذهبوا إليه.

لكن عليك أن تعرف قاعدة عامة: هم يعرفون ضعف تفسيراتهم؛ يعرفون هذا ويوقنون به، لكن يقول لك هذا الضعف لا بدّ منه، هذا التحريف لا بدّ منه، لماذا؟ كي ينسجم مع أدلتهم العقلية، فخالفوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، من أجل أن يُرضوا عقولهم، مع أنّهم لو تجردوا حقيقة عن شبهات الفلاسفة التي دفعتهم إلى مثل هذا؛ لوجدوا أنّ

عقولهم هذه إنّما دخلها ما دخلها بسبب تلك الفلسفة فقط.

ثم قال: **({كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا})**

وهذا فيه إثبات صفة المجيء لله تبارك وتعالى.

قال: **({وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا})**

هذه الآية ظاهرها ليس فيه ذكر صفة لله تبارك وتعالى،{وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا} إذن لماذا ذكرها المؤلف رحمه الله هنا وهو في سياق سرد آيات الصفات؟

لأنّ فيها إشارة إلى مجيء الله تبارك وتعالى؛ فتشقق السماء بالغمام سببه هو مجيء الله تبارك وتعالى، بدليل الآيات السابقة التي تقدمت معنا، فلمّا وُجد ذكر تشقق السماء بالغمام؛ أتى بالآية ها هنا لأنّ هذا التشقق يحصل لمجيء الله تبارك وتعالى، ففيه إشارة لإثبات صفة المجيء لله تبارك وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله: **(وقوله: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ})**

هذا إثبات صفة الوجه لله تبارك وتعالى {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ}، فصفة الوجه ثابتة بهذه الآية، فنثبت لله وجهاً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته تبارك وتعالى، ولا شك أنّ الباقي هي الذات، وأنّ المراد بقاء الذات، لكن أيضاً الوجه ثابت؛ فوصف الوجه بالجلال والإكرام يدلّ على ثبوت صفة الوجه لله تبارك وتعالى، {ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} عائدة إلى وجه الله سبحانه وتعالى، والجلال: بمعنى العظمة والسلطان، والإكرام: تصح على معنيين: على معنى مُكرِم ومُكرَم:

فالمُكرَم: إكرام الله تبارك وتعالى يكون بالقيام بعبادته وطاعته.

ومُكرِمٌ لمن يستحق الإكرام من خلقه.

ثم قال: **({كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ})**

أول الآية: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه}، {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ} أي: مما كتب عليه الفناء، يُستثنى من ذلك الجنّة والنّار- هذه لا تفنى.

{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} اختلف السلف في المراد من وجهه هنا، وهل هي من آيات الصفات أم لا؟

فبعضهم قال: كلّ شيء هالك إلّا هو، أي: إلّا الله سبحانه وتعالى.

وقال بعضهم: إلّا ما أُريد به وجهه.

وقال البعض: إلّا ملكه.

من الذين قالوا: إلّا ما أُريد به وجهه: أبو العالية ومجاهد والثوري.

وقوله: (إلّا هو) قاله أبو عبيدة مَعْمر بن مثنى.

(وإلّا ملكه) لم تُذكر عن شخص معين؛ هي مذكورة: أنّ بعضهم قال هذا، وأخرجها هنا من آيات الصفات؛ لكن هذا التفسير لا يُذكر عن شخص معين، وتفسير السلف دائر على إثبات صفة الوجه في هذه الآية، سواء قلت معناها: (إلّا هو) أو (إلّا ما أُريد به وجهه)؛ ففيها إثبات صفة الوجه لله تبارك وتعالى، لكن لمّا تقول (إلّا مُلكه) هنا تكون قد نفيت إثبات صفة الوجه بهذه الآية؛ لكن كما ذكرنا هذا التفسير لا يُذكر عن شخص معين؛ هذا أولاً، ثانياً: هو تفسير خطأ لا يصح؛ ذلك لأنّ الأشياء كلّها ملك لله تبارك وتعالى، فلا يصحّ أن يُقال: كلّ شيء هالك إلّا كلّ شيء، فالأشياء كلّها هي ملك لله سبحانه وتعالى، فإذا قُلت: كلّ شيء هالك إلّا ملكه؛ معنى ذلك: أنّ كلّ ما هو مالكه هالك إلّا ما هو مالكه، فما استفدنا شيئاً من هذا الاستثناء؛ فهذا التفسير يُعتبر تفسيراً خاطئاً.

على كلٍ الآية التي قبلها صريحة في إثبات صفة الوجه لله تبارك وتعالى، وقد وردت أحاديث أكثر صراحة في إثبات صفة وجه الله تبارك وتعالى منها قول النبي ﷺ: "حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ".

قال المؤلف رحمه الله: **(وقوله: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}، {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ}** هاتان الآيتان فيهما إثبات صفة اليدين لله تبارك وتعالى.

قوله: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} مُثنى، وقال: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} أيضاً مثنى، فأثبت الله تبارك وتعالى لنفسه يدين اثنتين؛ فنحن نثبت ما أثبت الله لنفسه.

جاء في بعض الآيات ذكر اليد الواحدة، وفي بعضها ذكر الأيدي بصيغة الجمع، والجمع بين هذه الآيات أن يُقال: بأنّ الجمع لا ينافي التثنية؛ لأن بعضهم قال: أقل الجمع اثنين؛ فيكون داخلاً في ذلك، وإذا قلنا أقل الجمع ثلاثة؛ فيكون عندئذ الجمع للتعظيم لا التكثير، وليس للعدد، والاثنان هو العمدة، وأمّا ذكر اليد الواحدة فلا ينفي وجود يد أخرى؛ فبهذا يتم الجمع بين الأدلة التي وردت بصيغة الجمع ووردت بصيغة التثنية ووردت بصيغة الإفراد؛ فيكون الجمع المراد به التعظيم لا التكثير، فإنّ التكثير معناه أكثر من يدين وهذا خطأ، فإن المراد التعظيم؛ لأنّ الثابت عندنا هي اليدان فقط.

وأما أهل التعطيل فعندما جاءت آية {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}؛ فسروا ذلك بالإنعام، أي: أنّه يُنعم على خلقه، فاليد إما يفسرونها بالنعمة أو بالقدرة؛ كي يصرفوها عن حقيقتها ولا يثبتوا لله تبارك وتعالى يداً حقيقية، والكلام فيها كالكلام في بقية الصفات، لكن هذه من الصفات الذاتية الخبرية، اليد والوجه من الصفات الذاتية الخبرية، وكذلك

القول فيها كالقول في غيرها، وأنّ إثبات مثل هذه الصفات لا يلزم منه التمثيل؛ فصفات الله تبارك وتعالى تليق بجلاله وعظمته، وصفات المخلوق تليق به.

نكتفي بهذا القدر إن شاء الله.